

قضايا تفسيرية في كتابات
الدكتور محمد عبده يمانى
رحمه الله



إعداد

د. إبراهيم محمد إبراهيم حسنين

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق - جامعة الأزهر

الجزء الأول



قضايا تفسيرية
في كتابات الدكتور محمد عبده يمانى
رحمه الله
(الجزء الأول)

إعداد

د. إبراهيم محمد إبراهيم حسانين
مدرس التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق جامعة الأزهر



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق
وسيد العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أمرنا الله تعالى بتلاوة القرآن وحث على تدبره واستخراج
هداياته، قال الله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا آيَاتِنَا عَلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَتَذَكَّرَ آيَاتِنَا وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾
(١)، فشرع العلماء بالبحث والنظر في الآيات مستخرجين منها
الدواء لأمراض المجتمع والعلاج الناجع لمشكلاته على مختلف
العصور، فامتدت صلتهم بكتاب الله دراسة وتدبرا، ومن هؤلاء
العلماء الكبار في العصر الحديث الدكتور محمد عبده يماني رحمه
الله، وزير الثقافة والإعلام السعودي السابق، (ولد ١٩٤٠ - وتوفي ٨
نوفمبر ٢٠١٠م)، وهو من الشخصيات الإسلامية الناشطة في الحقل
الدعوي، كان من المهتمين بقضية تبسيط وتيسير الدين لأولاد
المسلمين وبالأخص السيرة النبوية، وقد أعد الدكتور محمد عبده
يماني خمسا وثلاثين مؤلفاً بعضها باللغة الإنجليزية، تناول من
خلالها مواضيع علمية ودينية وثقافية مختلفة، وفي ثناياها تعرض
لآيات القرآن الكريم مبرزاً ما فيها من علاج لمشكلات وقضايا عاشها

(١) سورة ص: ٢٩

وأعمل عقله للوصول لعلاجها حريصا على أن يأخذ بأيدي الأمة بجميع أطرافها لينهلوا من معين هذا الكتاب الذي لا تنفذ خزائنه، فكان فتح الله عليه ومدده ومعونته له، ولم لا والقرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم.

"إن ما يواجهه المسلمون في هذا العصر من مشكلات وتحديات ومتاهات توجب إعادة النظر في كثير من المسائل على ضوء القرآن الكريم وعلى أساس علمي يخاطب عقول الناس".

"إن شباب اليوم يريد تفسيراً لما جد في حياتهم المعاصرة، لأنهم يواجهون نوعاً جديداً من المشكلات المعقدة، ولا يتجرأ أن يسأل عنها خشية أن يتهم بالتحلل والفسق والفجور وعظائم الأمور، ولذلك فهو يصمت ويكبت جماح نفسه وعواطفه، وفي ذلك خطر كبير على إسلام مثل هؤلاء الشباب" (١).

من هنا جاءت فكرة استقراء مؤلفات المرحوم د. محمد عبده يماني واستخراج الموضوعات القرآنية التي تناولها في كتاباته والربط بينها لتخرج في ثوب قشيب، بهدف إبراز جهوده القرآنية، على أمل أن نبرز للقارئ الكريم صورة حية لهذا النموذج الذي عاش في خدمة

(١) المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية د. محمد عبده يماني ص ٤٥

الإسلام وكتابه العظيم إلى أن خرجت روحه إلى بارئها وهو يحرص
على نشره وتعليمه. والله الهادي والموفق لكل خير.

الفصل الأول

العلم والإيمان مقومات نهضة الإنسان

المبحث الأول: العلم ضرورة الإيمان

لم يهتم كتاب سماوي بالعلم كما اهتم به القرآن الكريم، فتحصيل العلم المفيد النافع واجب وتقديمه للآخرين أيضاً من الواجبات، فهو الذي يهدي إلى صالح العمل، كما أنه يهدي إلى الإيمان، فالعلم دليل الإيمان، كما أرشد إلى ذلك القرآن الكريم في قول الحق سبحانه: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ (١) فالعلم الصحيح يترتب عليه الإيمان، والإيمان يترتب عليه الإخبات والخشوع.

ولأن العلم يسبق الإيمان والعمل، كان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢) ففي الآيات الكريمة أمر مكرر بالقراءة، وهي مفتاح العلم، وفيها تنويه بالقلم وهو أداة نقل العلم وتثبيته.

وانطلاقاً من ترسيخ القرآن لقيمة العلم وجعله منهج حياة للمسلم حتى في التعرف إلى خالقه وأداء ما عليه من عبادات، كان

(١) سورة الحج: ٥٤

(٢) سورة العلق: ١-٥

من أبرز تعاليم الإسلام: كما يقول المفكر الإسلامي، الدكتور أحمد كمال أبو المجد- الحث على العلم، فقد خلق الله الإنسان، ومنحه أدوات تحصيل العلم من سمع وبصر وعقل، ولذلك يقول الحق سبحانه في قرآنه الخالد: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١) وقال عز وجل في موضع آخر: ﴿وَلَا تَنْفَقْ مِمَّا رَزَقْنَاكَ بِهِ غَيْرَ عَلِيمٍ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء: ٣٦، فالقرآن قد أشار في كثير من آياته الكريمة إلى الأدوات الثلاث الرئيسة في التعلم وهي: السمع، والبصر، والفؤاد وهو العقل.

وقد أكد د. محمد عبده يماني على دعوة القرآن إلى العلم منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي على رسول الله ﷺ فقال: "كانت الدعوة القرآنية إلى العلم - متمثلا في القراءة والكتابة - مع الخيوط الأولى لفجر الإسلام ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ (٢).

(١) سورة النحل: ٧٨

(٢) سورة العلق: ١-٥

وفي قوله: ﴿مَا تَعْلَمُ﴾ إحاطة بآفاق العلوم جميعا فكل ثقافة وكل معرفة وكل خبرة جديدة نافعة يكتسبها الإنسان هي من هذا التعليم الإلهي للإنسان.

ومن هنا فقد فتح الإسلام للإنسان سبيل المعرفة وجلى أمامه آفاق العلم وحثه إلى التطلع إلى المزيد ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١).

الإيمان الصحيح نوع من العلم النافع، العلم والدين لا يتعارضان؛ فإنَّ الدين جاء موافقاً لِمَا خلق اللهُ عليه الخَلْق من الفطرة والعقل السليم، كما جاء مهتماً بإخبار البشر بما يلزمهم من الغيبيات ممَّا لا تستطيع عقولهم الوصول إليه، أمَّا العلوم الأخرى فترك للعقل المجال لبحثها معتمداً في ذلك على الواقع والحقيقة، إذ قال ابن القيم -رحمه الله-: "الرُّسُل -صلوات الله وسلامه عليهم- لم يخبروا بما تُحيله العقول، وتقطع باستحالته، بل أخبرهم قسماً؛ ما تشهد به العقول والفِطرة، وما لا تُدرکه العقول بمجردِها، كالغيوب التي أخبروا بها عن تفصيل البرزخ واليوم الآخر، وتفصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم مُحالاً في العقول

(١) سورة طه: ١١٤

أصلاً، وكلّ خبرٍ يظن أنّ العقل يُحيله، فلا يخلو من أحد أمرين: إمّا أن يكون الخبر كذباً عليهم، أو يكون ذلك العقل فاسداً" (١).

والعلم والإيمان يؤدّي كلّاً منهما إلى الآخر، فالعلم يمثل الدليل الذي يُوصل الإنسان إلى الدّين، لذلك كان العالم الأقدر على معرفة التناسق والترابط بين كلّ ما يجري في الكون، ويعلم ما في النّفس البشريّة، والعقل، كما أنّه الأقدر على معرفة نظام خلق السماوات والأرض، والاختلاف في الليل والنهار، وما أنزل الله -تعالى- من الماء فأحيا به الأرض بعد موتها، ولذلك فإنّ العلماء من أعمدة الدّين والإيمان على مرّ العصور، كما أنّ الدّين من أسباب تحقيق الراحة والأمان والسكينة، فالمؤمن يعلم بأنّ هناك أموراً تقع ولا سبيل له ولا قوّة لديه إلاّ الإيمان والتسليم بوجودها، وأنّ الله وحده القادر على تدبير تلك الأمور، وليس القصد من ذلك عدم الأخذ بالعلم؛ بل لا بدّ من العلم والبحث فيما يتوافق مع الدّين، فالعلم والإيمان مع بعضهما يؤدّيان إلى التقدّم، وقد عطف الإيمان على العلم في عدّة مواضع في القرآن الكريم؛ منها: قوله -تعالى-: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ

(١) الروح لابن قيم الجوزية ص ٦٢

لِيَشْرَفَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ (١) وذلك إظهاراً لمكانة العلم، وأهميته في تحقيق الإيمان في القلوب، فالإيمان دون علم لا يحقق العقيدة السليمة في النفس، التي تحقق الفوز بالآخرة.

وهذا ما أكد عليه د. محمد عبد يماني من أن الإيمان الصحيح نوع من العلم النافع، فقال: "ولم ينوه الإسلام بشأن العلم ولم يرفع مكانته إلا لأنه ضرورة للإيمان ذاته، فليس الإيمان الصحيح إلا نوعاً من العلم يقوم على أساس النظر السليم إلى الكون والحياة محوطاً بالأدلة والحقائق العلمية، فالعلم الصحيح وسيلة الهداية إلى الحق في كل مجال، أما الجهل فهو باب الخرافة التي تقود إلى الضلال، فالتوحيد الحق والإيمان الصحيح يدعم الوقوف على حقائق الكون. كذلك هذا العلم أول وقواعد الحركة الإسلامية والتي أراد لها الله تعالى" (٢).

وبنظرة لشمولية القرآن لحل مشكلات المجتمع وحاجة الشباب إلى من يستخرج لهم الحلول لها يبين د. محمد عبده يماني

(١) سورة الروم: ٥٦

(٢) المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية ص ٤١، ٤٠

أن "ما يواجهه المسلمون في هذا العصر من مشكلات وتحديات ومثاهات توجب إعادة النظر في كثير من المسائل على ضوء القرآن الكريم وعلى أساس علمي يخاطب عقول الناس".

ثم يقول: "إن شباب اليوم يريد تفسيراً لما جد في حياتهم المعاصرة، لأنهم يواجهون نوعاً جديداً من المشكلات المعقدة، ولا يتجرأ أن يسأل عنها خشية أن يتهم بالتحلل والفسق والفجور وعظائم الأمور، ولذلك فهو يصمت ويكبت جماح نفسه وعواطفه، وفي ذلك خطر كبير على إسلام مثل هؤلاء الشباب" (١).

(١) المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية ص ٤٥

المبحث الثاني: دور العلماء في نشر العلم وواجبهم نحوه

علماء الأمة هم أمناء على الشريعة، وهم المرجع في الفتوى، وعليهم واجبات تجاه دينهم وأمتهم، ولهم دور كبير في إرشادهم ونصحهم.

يوضح د. محمد عبده يماني هذه الواجبات فيقول: من واجب علماء الأمة أن يتحدثوا بدون انفعال، وأن يرشدوا الأمة إلى حقيقة ما يجري على الساحة الإسلامية وأن يدعموا أقوالهم بالآيات القرآنية التي توضح الموقف وتجلي الحقيقة، ولا شك أن هذا أوجب الواجبات في أيامنا هذه.

ومن الخطورة أن يسكت العلماء أو يلووا أو يبدلوا الحقائق، فهذا أمر يجلب غضب الله تعالى، لأن كتمان الحق جلب الكثير من المصائب على الأمم التي سبقتنا، وأي عالم يكتم الحقيقة أو يبدلها أو يجامل في الله فإنه يستحق دون شك غضب الله عز وجل، والقرآن يوضح هذه الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ

الْبَيْتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّكَ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوَلِيَّتِكَ أَنْتَ عَلَيَّمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾.

إن بعض المتشدين يتحدثون باسم الدين ويحاولون إيجاد مبررات باسم الشريعة الإسلامية لغزو صدام حسين للعراق ثم يسمون ذلك جهادا إسلاميا، وهذه كارثة عظيمة في تاريخ الأمة الإسلامية أن يكذب على الدين. كيف يمكن أن يكون الهجوم نوع من الجهاد؟ وهل يصح أن ننسب هذا الكلام زورا وبهتانا إلى الله عز وجل أو إلى رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (٢).

كيف يمكن للمسلم أن يحل ما حرم الله ويبيح ما منعه الله؟ كيف يمكن للمسلم أن يسكت على نص صريح يحرم فيه الله الاعتداء والظلم والبغي على أي انسان فضلا عن أي مسلم.

(١) سورة البقرة: ١٥٩ - ١٦٠

(٢) يقول هذا متحدثا عن دور العلماء من قضية صدام حسين وغزو العراق.

ثم أين يذهب بنص صريح يجعل المسلم على المسلم حرام.
 (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) (١) وقال ﷺ:
 (ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا
 ألا بلغت؟ اللهم اشهد) (٢) وذلك في حجة الوداع.

علماء الأمة هم أمناء على الشريعة، وهم المرجع في الفتوى،
 فعليهم أن يبينوا الحق ولا يكتُمونه. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ - مِمَّا قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمْ
 اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣).

ومن هنا جاءت أهميه العودة الصحيحة الصادقة إلى كتاب
 الله فنعتصم به ونحتكم إليه ونسلم في كل ما حكم فيه ونحكمه فيما
 شجر بين المسلمين.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الآداب، باب: كل المسلم على المسلم حرام
 (١٠/٨) برقم (٦٦٣٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: تغليظ تحريم الدماء والأموال
 والأعراض (١٣٠٥/٣) برقم (١٦٧٩).

(٣) سورة البقرة : ١٧٤

ولعل أخطر ما نمر به هو استدراج علماء المسلمين ليقدّموا الفتاوى الباطلة باسم القرآن، ويحاولون أن يلووا النصوص ليستخرجوها لخدمة أهداف دنيئة وباطلة تزيد الأمة فرقة وشتاتا وضياعا، ولا نكون في هذا مخطئين فقط بل نحن فئة تصر على خطئها وعلى باطلها، والله تعالى يحذر من الإصرار على الخطيئة فكيف بالإصرار على الظلم والبغي والباطل (١).

(١) وكشفت أزمة الخليج عورتنا د. محمد عبده يماني من ص ٥٦: ص ٥٩

المبحث الثالث: خطورة انحراف أهل الفكر

أوضح الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ

الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاتِ وَالطَّعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤَلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾

(١). قضية مهمة، وهي انحراف أهل الفكر، ومن الخداع الذي

تعوده الرهبان والأخبار ما أوضحه الله تعالى في قوله: ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنَ

أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجِهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا

لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّا فَضَّلْنَا بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ

مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

وبهذا يعتبر انحراف أهل الفكر قضية خطيرة، لذلك نجد أن

الإسلام كرم طريق العلم وأجل العلماء، وما أكثر الآيات التي جاءت

في هذا المضمار، وما أكثر الأحاديث، منها: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٣)،

(١) سورة النساء : ٥١

(٢) سورة آل عمران : ٧٢ - ٧٣

(٣) سورة طه : ١١٤

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) ، ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

(٢)، ومن الأحاديث: منها حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: (من سلك طريقا يلتمس به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم ليستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما أورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظه- أو بحظ وافر) (٣).

كل هذا جاء في تكريم العلم وطلاب العلم، ولم يقتصر تكريمهم في الدنيا فهناك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يشفع يوم القيامة للأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) (٤).

(١) سورة فاطر: ٢٨

(٢) سورة المجادلة: ١١

(٣) أخرجه الدارمي في سننه كتاب: العلم باب: فضل العلم والعالم، ص ١٦٥ برقم (٣٦٨).

(٤) لم أقف عليه.

ولعل هناك بعضا من المفسرين يذهب لتفسير قوله تعالى:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١)

بأن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة والجنة في الآخرة (٢).

هكذا وضع الإسلام للعلم الدرجات العليا والكبرى وكرم

العلماء، لكنه في الوقت نفسه حملهم مسؤوليات عظيمة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من تعلم علما لغير

الله او أراد به غير الله فليتبوا مقعده من النار) (٣)، ويروي عن أبي

الدرداء رضي الله عنه قوله: (ويل للذي لا يعلم، وويل للذي يعلم ولا يعمل)

(٤)، ولعل من يتدبر هذا الأمر يدرك خطورة العالم الذي لا يعمل

١ (سورة البقرة : ٢٠١)

٢ (أخرجه ابن جرير الطبري بسنده قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عباد، عن هشام بن حسان، عن الحسن: " ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة"، قال: الحسنة في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة. جامع البيان (٢٠٥/٤) برقم (٣٨٧٨).

٣ (أخرجه الترمذي في سننه كتاب أبواب العلم باب: ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، (٣٣٠/٤) برقم (٢٦٥٥).

٤ (أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب: الزهد باب: ما قالوا في البكاء من خشية الله، (٣٥/١٤) برقم (٣٦٧٧٣).

بعلمه، وهناك أحاديث كثيرة تحذر الذين يتفقهون لغير العلم ولغير
العبادة والذين يستحلون الحرمات، حرمات الله بالشبهات (١).

(١) للعلاء فقط. د. محمد عبده يماني ٤٦-٤٤/١

المبحث الرابع: مقومات النهضة الحضارية والروحية

كثر الاهتمام في العقود الأخيرة من جانب العديد من العلماء والمفكرين بدراسة موضوع التخلف الذي تعاني منه الأمة الإسلامية وذلك لأسباب عدة:

أولاً: لأن الأمة الإسلامية أمة ذات حضارة عريقة قادت الحضارة الإنسانية على مدى قرون طويلة.

ثانياً: لأنها أمة تمتلك كل مقومات النهضة الحضارية والروحية القابلة لقيادة العالم من جديد إلى كل ما فيه خير للبشرية.

ومن هذا المنطلق أصبح موضوع تخلف المسلمين من أكثر المواضيع إثارة للجدل، بل إن العقل الإسلامي ومنذ عقود عدة يحاول جاهداً تفكيك رموز هذه الحالة، وتحليل أسباب هذه الظاهرة، ظاهرة التخلف التي تعني مجازاً مجموعة المشكلات التي يعاني منها الجسد الإسلامي بكل إشكالياته.

وقد سعى الكثير من العلماء والمفكرين إلى وصف وتفسير وتحليل التغيرات والتحويلات التي مرت بها الأمة الإسلامية بمراحلها التاريخية المختلفة. وقد توصل جميعهم في رحلة الاستكشاف

حول تفكيك رموز حالة التخلف إلى أن هناك عاملين كان لهما التأثير المباشر في تكريس حالة التخلف في الجسد الإسلامي.

العامل الأول: داخلي، ويأتي في مقدمة أسبابه غياب الدور الحقيقي للإسلام في حياة المجتمعات الإسلامية، حيث تحول الإسلام فيها إلى نصوص تحفظ وشعارات تكتب دون تطبيق، وآيات قرآنية تقرأ بعيون ميتة، وعبادات تؤدي دون عمل، وممارسات سلوكية بعيدة عن جوهر الإسلام، وأمة تعمل بنسبة ضئيلة مما يحثها الإسلام عليه، أمة تعيش عالة على الآخرين، على رغم كل مقومات النهضة وعوامل التقدم التي قد تجعلها في غنى عن الآخرين.

العامل الثاني: الخارجي، والذي جاء ليزيد من حالة التخلف ويضخم من دائرته بشكل أكبر وأخطر، حيث الآثار السلبية والخطيرة التي تكرست آثارها بدخول الاستعمار الأوروبي الذي عمل بامتياز على استعمار العالم العربي والإسلامي، ونهب ثرواته ومحو هويته ولغته العربية، وتكريس حالة من الجهل بين شعوبه والسطو على عقوله.

إن الخروج من حالة التخلف يتطلب علاجاً شاملاً لحالة العقل الإسلامي وتوحيد الجهود العربية والإسلامية بحيث تكون الأمة الإسلامية وحدة واحدة. وهذا أمر يحتاج إلى نسبة عالية من الإرادة والعزيمة، والصحة والتفكير الجيد، وتجاوز كل الهموم والتحديات، وأن يتم توظيف ثروات الأمة الإسلامية بشكل صحيح، وإعطاء العلماء دوراً أكبر، وتطوير التعليم والإنفاق بسخاء على البحث العلمي.

ومن مفكري الأمة د. محمد عبده يماني الذي اهتم بدراسة هذه القضية، وأرجع تخلف الأمة عن ركب الحضارة إلى ثلاثة أسباب أساسية، هي:

١- إعراضنا عن أسس العلم الحقيقية وانصرافنا عن التفكير السليم.

٢- تدهور دور العلم ومناهج الدراسة.

٣- عزل الدين عن حركة الحياة

فيقول: "الحقيقة أن الأسباب الأساسية لتخلفنا تكمن في

إعراضنا عن أسس العلم الحقيقية وانصرافنا عن التفكير السليم، وما تلى ذلك من تدهور في دور العلم ومناهج الدراسة، وتلى ذلك

أمر هام عندما عزلنا الدين عن حركة الحياة فلم يعد الإسلام يحكم حركتنا والإسلام نظام كامل للحياة ولا يقبل التجزئة فهو يعني بماديات الحياة تماما كما يعني بروحانيات الإنسان، ولذلك فهو وسط بين اليهودية التي أغرقت في المادية فجاءت المسيحية لتعطيها الدفعات الروحية فاندفعت إلى رهينة وأغرقت في متاهات تحكم الرهبان والأحبار في خصوصيات الناس، وفصلت بينهم وبين الاتصال بالخالق الأعظم، فجاء الإسلام يجمع بين المنهجين في وسطية رائعة مادية وروحانية بحركة فكان الدين الوسط ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١).

ولهذا عندما عزل المسلمون الدين الإسلامية عن حركه الحياة تخلفوا ولم تعد القيم الإسلامية تحكم حركة حياتهم وانصرفوا بالتالي عن المنهج السليم، ومع مرور الزمن وصلنا إلى ما نحن عليه" (٢).

ثم يعرج بذكر الحلول، ويرى أن الحل ينحصر في:

(١) سورة البقرة: ١٤٣

(٢) المسلمون والتطور في علوم الفضاء ص ٢٤

١- العودة إلى حظيرة الإسلام.

٢- الأخذ بأسباب التطور الحديث وتعديل المناهج وإصلاح المدارس.

٣- تعليم أبناءنا طرق التفكير الصحيح والعمل الجاد.

٤- أن لا تنحصر اهتماماتنا في مجرد اللحاق بالأمم المتقدمة لأن التقدم الذي نسعى إليه هو ذلك التقدم الذي وضعنا في المقدمة وكان متميزا بطابعه الخاص وأصالته.

فيقول: "فلو عدنا إلى حظيرة الإسلام وأخذنا بأسباب التطور الحديث وعدلنا مناهجنا وأصلحنا مدارسنا وبدأنا نعلم أبناءنا طرق التفكير الصحيح والعمل الجاد لوصلنا إلى ما وصل إليه القوم بل لتعدينا ذلك ولأضفنا وأبدعنا.

ولا بد أن تكون أهدافنا في النهضة العلمية التي نسعى إليها واضحة وأن لا تنحصر في مجرد اللحاق بالقوم لأن التقدم الذي نسعى إليه هو ذلك التقدم الذي وضعنا في المقدمة وكان متميزا بطابعه الخاص وأصالته.

ومن هنا تأتي خطورة التبعية في النهضة، وهذا لا يعني أن لا نأخذ بأسباب العلوم الحديثة ونتعلم منهم ونتفاعل معهم ولكن في

الوقت نفسه لا بد من إدراك أهمية وجود هوية إذ ليس من المعقول أن تتقدم ونتطور بصورة سطحية وزائفة نفقد معها استقلالنا الحقيقي في التفكير وهويتنا المتميزة لأننا عند ذلك سنكون قد خسرنا أكثر مما كسبنا وسوف نظل نراوح في مكاننا.

ولابد أن نحیی فكرة الاجتهاد التي تميزت بها الحضارة الإسلامية وبرز فيه أسلافنا من السلف الصالح (١).

(١) المسلمون والتطور في علوم الفضاء ص ٢٥

الفصل الثاني

صور من الاتجاهات المنحرفة في التفسير

المبحث الأول: القرآنيون مغالطات وجهالات

لهذه الطائفة التي أسمت نفسها (القرآنيون) مغالطات وجهالات، زعموا أنها شبهات ضد سنة رسول الله ﷺ المطهرة، ويزعمون أن هذه الشبه هي في الوقت ذاته أدلة قاطعة على وجوب ترك السنة النبوية المطهرة، وإهمالها والانصراف عنها، وعدم اعتبارها مصدراً للتشريع، والاقتصار على القرآن المجيد مصدراً وحيداً للتشريع الإسلامي.

وقالوا: إن القرآن الكريم كافٍ في بيان قضايا الدين وأحكام الشريعة، وإن القرآن قد اشتمل على الدين كله، بجملته وتفصيله، بكلياته وجزئياته، وأنه يحتوي جميع الأحكام التشريعية بتفصيلاتها، ما ترك شيئاً ولا فرط في شيء. ولهذا كان القرآن كافياً، ولم يكن ثمة حاجة لمصدر ثانٍ للتشريع. فالسنة لا حاجة إليها، ولا مكان لها.

وقد استدلوا لشبهتهم هذه بما زعموه أدلة من القرآن المجيد. من ذلك قوله سبحانه: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (١). وبقوله تعالى يصف القرآن الكريم: (ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق

(١) سورة الأنعام: ٣٨

الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (١)، وكذلك استدلوا بالآيات التي وصف الله تعالى القرآن فيها بأنه مبين من مثل قول الله تعالى: (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) (٢).

وزعموا أن إضافة مصدر آخر إلى القرآن الذي لم يترك شيئاً، ولم يفرط الله فيه من شيء، إنما يعني أن نزيد في شرع الله ما ليس منه، وأن نخلط شرع الله الذي أنزل به كتابه بشرع من عند غير الله تعالى، وهذا باطل فاسد، وفساده إنما أتى من الاعتماد في الدين على غير كتاب الله الذي فصل كل شيء وأحاط بكل شيء.

وزعموا بأن وصف القرآن بأنه (مبين)، ووصف آياته بأنها (آيات بينات) تقطع السبيل على من يقولون إن السنة مبينة للقرآن ومفصلة. فهذا هو القرآن يتحدث عن نفسه في آياته القاطعات، بأنه قد اشتمل على كل شيء، وفصل كل شيء، وبين كل شيء، وبهذا يتضح أن السنة لا محل لها من التشريع، ولا حاجة إليها من بيان أو تفصيل أو توضيح.

(١) سورة يوسف: ١١١

(٢) سورة يس: ٦٩

وللرد على هذه الشبهة نقول: اشتمل القرآن المجيد على قضايا الدين، وأصول الأحكام الشرعية، أما تفاصيل الشريعة وجزئياتها فقد فصل بعضها وأجمل جمهرتها، وإنما جاء المجمل في القرآن بناء على حكمة الله - عز وجل - التي اقتضت أن يتولى رسوله ﷺ تفصيل ذلك المجمل وبيانه، وهذا هو ما قام عليه واقع الإسلام، وأجمعت عليه أمته، ومن ثم فلا وزن لمن يقول بغير ذلك أو يعارضه، لأن معارضته مغالطة واضحة وبهتان عظيم.

وإذا كان أصحاب هذه الشبهة يزعمون أن القرآن المجيد قد فصل كل شيء، وبين كل صغيرة وكبيرة في الدين؛ فلنحتكم وإياهم إلى عماد الدين: الصلاة؛ أين في القرآن الكريم عدد الصلوات، ووقت كل صلاة ابتداء وانتهاء، وعدد ركعات كل صلاة، والسجدة في كل ركعة، وهيئاتها، وأركانها، وما يقرأ فيها، وواجباتها، وسننها، ونواقضها، إلى غير ذلك من أحكام لا يمكن أن تقام الصلاة بدونها؟ ومثل ذلك يقال في أحكام العبادات كافة.

إن القرآن العظيم قد ورد فيه الأمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج، فأين نجد منه الأنواع التي تخرج منها الزكاة، ومقدار كل نوع، وأين نجد أحكام الصيام؟ وأين نجد مناسك الحج؟ إن الله -

سبحانه - قد وكل بيان ذلك إلى رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وجاء رسول الله ﷺ فقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي" (١)، ولم يقل: كما تجدون في القرآن، لأن القرآن قد خلا من تفصيل الأحكام وبيانها، ولعله من الحكمة من وراء ذلك بيان ما لرسول الله ﷺ من منزلة سامية لا يشاركه فيها غيره، ومكانة رفيعة عالية لا يرقى إليها سواه، وذلك بإسناد الله - تعالى - تفصيل الأحكام وبيانها إليه ﷺ إذ لو كان كل شيء مفصلاً مبيناً لكان رسول الله ﷺ مثل غيره من الناس مطبقاً لما هو قائم فعلاً، لكن الله - عز وجل - اختصه ﷺ بتفصيل الأحكام وبيان مجمل القرآن تكريماً لشأنه وإعلاء لمنزلته، وليس ذلك أمراً قائماً بذاته، بل هو مبني على ما سبق أن بيناه من حِكم .

وقد تناول د. محمد عبده يماني هذه القضية فيبين أنه "تجراً بعض من ينتسبون إلى العلم على سنة رسول الله ﷺ وينكرون وجوب العمل بها، ويشككون الناس فيها، ويدعون أن الاعتماد على القرآن وحده يكفي، ويسمون أنفسهم القرآنيين زورا وبهتانا، وما هم

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة (١٢٨/١) برقم (٦٣١).

بقرآنيين؛ لأن القرآن نفسه أوجب علينا طاعة الرسول ﷺ وأمرنا بها، وجعل طاعة الرسول من طاعة الله عز وجل.

وقد وجهنا الله تعالى أن نأخذ ما آتانا الرسول وننتهي عن كل ما نهى عنه، وهذه أمور واضحة جلية لا ينكرها إلا معاند أو مكابر أو جاحد للحق، وقد جاءت بها الآيات الكريمة، يقول الله تعالى:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١)، ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢)، ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (٣)

، ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٤)، ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

عَظِيمًا ﴾ (٥)، ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦)،

فهل بعد هذا من جواب على حجية السنة.

١ (سورة آل عمران: ١٣٢

٢ (سورة آل عمران: ٣٢

٣ (سورة الأنفال: ٢٠

٤ (سورة الحشر: ٧

٥ (سورة الأحزاب: ٧١

٦ (سورة آل عمران: ٣١

أضف إلى ذلك كل الآيات الأخرى التي توضح أن الله عز وجل قد بعثه ﷺ وجميع الرسل ليبينوا للناس وليعلموا الناس الذكر والحكمة والكتاب. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (١)، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

وهذا رسول الله ﷺ علمنا وجوب اتباع السنة والاعتماد عليها مع القرآن؛ لأنها مصدر للتشريع الإلهي، وهي وحى من عند الله، يقول ﷺ: (ألا اني اوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقولوا عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه) (٣).

وهكذا يكشف لنا عن هؤلاء القوم الذين ينكرون السنه ويتنكرون لها، ويصفهم ﷺ ويصف أقوالهم فيقول في حديث آخر (لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما

١ (سورة النحل: ٤٤)

٢ (سورة النحل: ٦٤)

٣ (أخرجه أبو داوود في سننه في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة (٢٠٠/٤) برقم (٤٦٠٤).

أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري ما وجدناه في كتاب الله أتبعناه) (١).

هؤلاء إذا قوم يطعنون الإسلام في الصميم، وفي أحد مصدرية الأساسيين الكتاب والسنة" (٢).

"ومن لطف الله أن هذه القضايا قد أثرت أيام الائمة الأربعة رضوان الله عليهم فتصدوا لها هم ومن جاء من بعدهم وردوا عليها، وقد حذا الخوارج أيضا حذوهم وأنكروا حجية الإجماع والسنن الشرعية إلا من القرآن، وقد تصدى ابن حزم رحمه الله لهذه الأفكار، وقال: "إن من أنكر حجية السنة وادعي بأن ما وجدنا في القرآن نأخذ به فقط فهو كافر بإجماع الأمة" (٣).

١ (أخرجه أبو داوود في سننه في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة (٢٠٠/٤) برقم (٤٦٠٥).

٢ (كلمة طيبة د. محمد عبده يماني ٩٥ : ٩٧

٣ (بابي انت وامي يا رسول الله د. محمد عبده يماني ص ٢٩، وكلام ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام (٩٦/١).

المبحث الثاني: البهائيون وتحريفهم في القرآن

والتفسير وموقفهم من ختم النبوة

يرى البهائيون أنه لا خلاف بينهم وبين المسلمين حول ختم النبوة، وإنما الخلاف هو في ما يترتب على ذلك من آثار.

فبينما ذهب الكثرة الغالبة من علماء المسلمين إلى أن ختم النبوة يستتبع انتهاء التنزيل وانقطاع الوحي، وتوقف الرسالات، وانعدام المزيد من الأديان، لم يرتب البهائيون عليه ذلك. فهم يرون أن تنزيل كلمات الله لهداية خلقه هو سنة سنّها الله ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (١)، وقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَبْنَىءَ آدَامَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢) جاء مطلقاً يترك الباب مفتوحاً لمجيء المزيد من الرسل مستقبلاً ومن ثم لتتابع الأديان.

(١) سورة فاطر: ٤٣

(٢) سورة الأعراف: ٣٥

ويوفق البهائيون بين ختم النبوة واستمرار تنزيل الأديان بعدة نظريات يكفينا منها هنا واحدة، ألا وهي نظرية الدورات الدينية، فكما أن للحياة الطبيعية دورات فكذلك للحياة الروحية أيضاً دورات، تتمثل في تعاقب الأديان وما يتبعها من حضارات.

وبنظرة فاحصة كشف الأعيبهم د. محمد عبده يماني ورد عليهم شبهاتهم، فقال: "ادعى حسين علي البهاء النبوة، ولكي يثبت أحقيته في ادعائها عمل على إيهام الأتباع بأنه اكتشف بأن رسول الله ﷺ ليس خاتم الأنبياء والمرسلين، بمعنى أنه خاتم الرسل وآخرهم ولكن زينة الأنبياء، وقال بأن قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (١) ليس فيه ما يدل على انقطاع الرسالة إذ لا تلازم بين النبوة والرسالة ولا تعلق بينهما، ثم يقول: إن مجدا هو بين الأنبياء حليتهم وزينتهم فهم يتزينون به لكونه منهم فرسالات الله ﷻ لعباده مستمرة وأبدية.

ومن هذا الكلام نلاحظ تلاعبهم بالألفاظ وتفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً محرفاً وبصورة تحقق أهدافهم الخبيثة في التشكيك بأن سيدنا محمد ﷺ ليس خاتم الأنبياء والمرسلين ولكن خاتم الأنبياء

(١) سورة الأحزاب: ٤٠

فقط وبذلك يكون المجال مفتوحا أمام أكاذيبهم وادعاءاتهم الباطلة.

كما نلاحظ أيضا أنهم يعتمدون إلى الاستشهاد بآراء المفسرين والفقهاء والعلماء عامة أمثال القرطبي وابن كثير والرازي وغيرهم، ويعمدون إلي تشويهاها أو أخذ مقتطفات ومقاطع غير كاملة منها يستشهدون بها في غير مواضع الاستشهاد، ويستدلون بها في غير مواضع الاستدلال لمجرد أن يقذفوا بهذه الأسماء في كتبهم وبصورة خاصة كتابهم (الرائد والدليل) ليوهموا الناس بتفسيرات لا أصل لها ولا سند، وانما حشرت فيها أسماء هؤلاء الأعلام حشرا، ومن ذلك:

استشهادهم بقول العلامة الرازي في كتابه: المطالب العالية في المقدمة الرابعة من بحث النبوة: (وذلك الدور المشتمل على مثل ذلك الشخص إنما لا يوجد في ألف سنة أو أكثر أو أقل إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشخص هو الرسول المعظم والنبي المكرم وواضع الشرائع والهادي إلى الحقائق).

ويستشهدون بذلك قائلين: إن العلامة الرازي لا يرى حتى انقطاع النبوة من كلامه هذا.

ثم يتمادون في افتراءاتهم على الرازي ويستشهدون بتفسير قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنَ ءَادَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١) يقول الرازي في هذا التفسير: "إن الله تعالى قال: (رُسُلٌ)، وإن كان خطابا للرسول وهو خاتم الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام لأنه تعالى أجرى الكلام على ما تقتضيه سنته في الأمم".

يقولون: إن الرازي عليه الرحمة أشار بقوله: "على ما يقتضيه سنته في الأمم" وهو تمادي الإرسال دون انقطاع لقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٢)، فلما كان استمرار إرسال الرسل هو من سنته تعالى في الأولين وأن سنته لا تتغير ولا تتبدل كان إرسال الرسل في الآخرين كذلك هو مستمر كما كان في الأولين دون تبديل أو تحويل، وهذا التلويح أبين من التصريح في استمرار إرساله تعالى الرسل لخلقه" (٣).

(١) سورة الأعراف: ٣٥

(٢) سورة فاطر: ٤٣

(٣) حوار مع البهائيين د. محمد عبده يماني ٢١: ٢٦ باختصار

هكذا نرى تلاعبهم وتشويههم الحقائق ولي عنق النصوص ومحاولة استنطاقها بما يزعمون، لذا في حذر المفسرون منهم ومن ألعبيهم، وقد ذكرهم العلامة الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (١). فقال: "وقد ظهر في هذا العصر عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية، لهم في هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم في سلك ذوي العقول، وقد كاد عرفهم يتمكن في العراق لولا همة واليه النجيب الذي وقع على همته وديانته الاتفاق حيث خذلهم - نصره الله - وشتت شملهم وغضب عليهم، رضي الله عنه، وأفسد عملهم؛ فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيرا" (٢).

ويواصل د. محمد عبده يماني فضح مخططاتهم فيقول:
 "يدعي البهائية أن دعوتهم امتداد للإسلام زورا وبهتانا، كما يعمدون على إخفاء كتبهم بما تحويه من عقيدة فاسدة وآراء هدامة، مدعين أن أحكام الشريعة الإسلامية قد نسخت وأن الاشتغال الآن

(١) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٢) تفسير روح المعاني للإمام الألوسي (٢١٩/١١).

بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد ﷺ كله عمل لغو وفعل باطل ولا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل.

فعمدوا إلى إلغاء شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتغيير الصوم وأوقاته بجعله من الشروق إلى الغروب بدلا من الفجر إلى الغروب، وتغيير عدد أيامه بجعله تسعة عشر يوما فقط بدلا من شهر، وجعله في شهر مارس من كل عام، مخالفين قول الله تعالى:

﴿ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (١).

كما طالبوا أتباعهم بالامتناع عن الصلاة التي تعلمناها من رسول الله ﷺ الذي قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي) (٢) وغيرها إلى نوع آخر من الصلوات عبارة عن تكبيرات وسجود بدون ركوع، وألغوا صلاة الجماعة.

(١) سورة البقرة: ١٨٥

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة (١٢٨/١) برقم (٦٣١).

كما غيروا الزكاة التي أقرها الله في القرآن وجعلها حق معلوم في قوله: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (١) وغيروا النسبة التي حددها الله وهي ربع العشر، وتدفع للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين. أما البهائيين فيجعلون الزكاة مقدارها تسعة عشر في المئة، وتدفع إلى المحافل البهائية التي ترسلها إلى المحفل البهائي الرئيسي في حيفا بفلسطين المحتلة.

كما أنهم ألغوا الحج الى بيت الله الحرام وجعلوا الحج إلى بيت الباب الشيرازي في العراق أو إلى بيت حسين علي المازنداري في عكا بفلسطين المحتلة، كما حرموا الحج تحريما قطعيا على النساء.

كما أنهم ألغوا الجهاد ويحللون الربا، ويدعون إلى السفور والعري وخروج النساء متبرجات.

ولا شك أن هذا إعلانا صريحا، وتحريضا واضحا على الفسق والفجور، ودعوة لأن يقدم الرجل زوجته إلى أصدقائه تعبيراً عن حبه لهم، فيضيع الشرف وتختلط الأنساب وتنتهك الحرمات.

(١) سورة الذاريات: ١٩

كما أنهم يطالبون الأتباع بأن يفعلوا كل ما يحلوا لهم وأن يشبعوا كل شهواتهم ورغباتهم؛ لأن مبادئهم الهدامة تقول: أنه لا يوجد حياة أخرى بعد الحياة الدنيا ولا حساب ولا جنة ولا نار. وادعى البهاء في كتابه الأقدس الذي يدعي أنه ناسخ للقرآن بأنه ذات الله.

وأمر الميرزا حسين البهاء أتباعه بأن يكونوا مخلصين لكل دولة مطيعين لكل قانون يتعاملون مع جميع أهل الارض بالروح والريحان، فيصلون مع المسلمين في المسجد، ويقفون أمام الصليب مع المسيحيين، أو يرتلون مع اليهود قصص التوراة ويقرأون الوصايا العشر، ولا مانع لديهم حسب خططتهم وحسب وصية طاغوتهم أن يقدسوا البقر مع الهنود أو يمجدوا نار المجوس، فلكل مقام مقال، والمهم هو استدراج أكبر عدد ممكن إليهم" (١).

هذا هو مخططهم، وهذه هي شبهاتهم، وهكذا كشفت مخططاتهم التي يقصدون منها هدم الدين والقضاء عليه، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(١) حوار مع البهائيين د. محمد عبده يماني ٧٥: ٨٠ باختصار

الفصل الثالث

قضايا قرآنية مجتمعية

المبحث الأول: من منافع الحج

حين أمر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج، بيّن له سبحانه أن من يلبون تلك الدعوة المباركة، سيشهدون منافع لهم، فما من عبادة شرعها الله تعالى إلا وكان للإنسان منها نفع يعود عليه ويهون مشقتها، وكما يكون نفعها في الآخرة يكون في الدنيا أيضاً، وفريضة الحج جعل الله فيها منافع كثيرة، وصرح بذلك في كتابه الكريم حتى ينتبه الناس ويغتنموا تلك المنافع، قال تعالى (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) (١).

يشير د. محمد عبده يماني إلى أهم هذه المنافع، وهو الاستجابة لأمر الله بأداء ما افترضه تعالى، فقال: "الحج مجموعة منافع وليس منفعة واحدة، وأول هذه المنافع وأفضلها هي الاستجابة لأمر الله عز وجل وأداء الركن الخامس من أركان الإسلام".

(١) حوار مع البهائيين د. محمد عبده يماني ٧٥: ٨٠ باختصار

ثم يضيف منافع أخرى غير ما سبق، فيقول: "بالإضافة إلى منافع أخرى كثيرة، من أهمها: الأدب الذي يكتسبه الحجاج بوجودهم في هذه الديار وقربهم من هذه الأماكن المقدسة واتباعهم أفعال رسول الله ﷺ التي فعلها في هذه المواقع والآداب التي تأدب بها" (١).

وقد تحدث المفسرون قديما وحديثا عن منافع الحج:

ف نجد الإمام الطبري بعد أن ذكر الخلاف في تعيين هذه المنافع: هل هي منافع دنيوية أو أخروية أو هما معا؟ يقول: "وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عم لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت" (٢).

(١) كلمة طيبة د. محمد عبده يماني ص ١٦

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (٦١٠/١٨) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى،

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

كما بين الإمام الزمخشري أن ذكر المنافع جاء مُنكَرًا، "لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة؛ دينية ودنيوية، لا توجد في غيرها من العبادات، وعن أبي حنيفة رحمه الله: أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج، فلما حجّ فضل الحج على العبادات كلها، لما شاهد من تلك الخصائص" (١)، وهو ما أكد عليه الشيخ القاسمي بقوله: "أي ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية" (٢)

قال الإمام محمد الطاهر بن عاشور مبرزا عظمة هذه المنافع: "ومعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم، أي ليحضروا فيحصلوا منافع لهم إذ يحصل كل واحد ما فيه نفعه. وأهم المنافع ما وعدهم الله على لسان إبراهيم عليه السلام من الثواب. فكفى بشهود المنافع عن نيلها. ولا يعرف ما وعدهم الله على ذلك بالتعيين، وأعظم ذلك اجتماع أهل التوحيد في صعيد واحد ليتلقى بعضهم عن بعض ما به كمال إيمانه، وتنكير منافع للتعظيم المراد منه الكثرة وهي المصالح الدينية والدنيوية لأن في مجمع الحج فوائد جمة للناس: لأفرادهم

١ (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (١٥٢/٣)، دار الكتاب العربي - بيروت، الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٢ (محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (٢٤٧/٧)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى -

من الثواب والمغفرة لكل حاج، ولمجتمعهم لأن في الاجتماع صلاحاً في الدنيا بالتعارف والتعامل (١).

بالإضافة إلى ما فيه من تربية للنفس البشرية حتى لا يملكها شيء من متاع الدنيا، كما أنه يورث الإنسان التقوى، يقول تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَكْتُمُهُ اللَّهُ وَتَكْزَبُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

فحين نتأمل مناسك الحج من حين الإحرام إلى الفراغ من جميع المناسك نجد أنها تربية عملية للمسلم، فعندما يحرم الحاج فإنه يلتزم بترك الكثير من الأمور التي اعتاد عليها من المباحات في غير الحج، وكذلك ترك كل فسق من غيبة ونميمة وكذب وشحناء وبغضاء وجدال، وغيرها، وهنا تسمو روح الحاج المؤمن، فالحج

١ (التحرير والتنوير ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (٢٤٢/١٧)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ

٢ (سورة البقرة: ١٩٧

يعمق في المسلم التقوى وينميها، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (١).

وكذلك في الحج غفران للذنوب، ومنه يرجع الحاج خاليًا من الآثام والمعاصي كيوم ولدته أمه، وهو ما بينه النبي ﷺ، ووضع لذلك شروطًا فقال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (٢)، كما يكون سببا في تكفير الذنوب ودخول الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (٣).

ومن فوائد الحج أيضا أنه ينفي الفقر والذنوب، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» (٤).

(١) سورة الحج: ٣٢

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الحج، باب: من حج فلم يرفث ولم يفسق (١٠٧/٤) برقم (٣٢٧٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة (٣٠٩/١٢) برقم (٧٣٥٤).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب: أبواب الحج، باب: ما جاء في ثواب الحج والعمرة (١٦٧/٢) برقم (٨١٠).

ويربط د. محمد على يماني بين المنافع الدنيوية والمنافع الأخوية دلالة على الإسلام دين ودنيا وأنه حريص على دنيا الإنسان كحرصه على آخرته، فيقول: "ومنها - أي: من منافع الحج- : الالتقاء الذي يجب أن يتم بين العلماء والمفكرين في مختلف أنحاء العالم وفي شتى التخصصات حتى يتدارسوا القضايا ويتعارفوا ويتعاونوا وتتوثق بينهم الصلات.

ومنها: ربط الناشئة بهذه الديار المقدسة، وبهذه الشعائر، وتوثيق الروابط بينهم.

ومنها: تعرف المسلمين بعضهم على أحوال بعض وإنتاج بعضهم لبعض وقدرات بقية المسلمين" (١).

نعم، هناك منافع دنيوية كثيرة تصيب الحجاج وغير الحجاج، وهو ما أجملته الآية الكريمة: (ليشهدوا منافع لهم)، وتعظم المنافع الدنيوية للحج إن استغل رجال التجارة والاقتصاد هذا الموسم الفريد ليتخذوا منه مناسبة للاجتماع والتشاور في كل ما من شأنه أن يرفع من اقتصادات الأمة الإسلامية. وليت المسلمين يستثمرون

(١) كلمة طيبة ص ١٦

تلك المناسبة في إقامة سوق إسلامية مشتركة يحققون بها احتياجاتهم، ويروجون بها اقتصاداتهم لكيلا يتحكم في قوتهم أحد.

وفي مواسم الحج يزداد العطف على الفقراء والضعفاء وذوى الحاجات، وينال الفقراء خير كبير مما يدفع لهم من صدقات أو يقدم من ذبائح الهدى والكفارات عن كل محذور يرتكبه المحرم.

ولا شك أن للحج منافع اجتماعية أيضا كالتعارف بين المسلمين من جنسيات مختلفة، وتحقيق التعايش بينهم والاطلاع على ثقافات الآخرين، وتبادل الخبرات والمنافع والمصالح بما يخدم الإنسان ويعمر الأوطان.

المبحث الثاني

العدل أساس المعاملات الإنسانية في الإسلام

"قضية العدل في التعامل والإحسان هي المظهر الأساسي للعلاقات الإنسانية في الإسلام، لأن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١)

ولهذا فالعدل هو أدنى حد في العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ لأنه يحفظ التوازن ويوجب إعطاء كل ذي حق حقه على أقل تقدير، ويمنع النفس من الظلم ويحول بينها وبين الانفعال وتحكيم الأهواء.

ولهذا تأتي الآية الكريمة التي تؤكد ضرورة العدل وأنه مطلوب في الحوار والحكم بين الناس مهما اختلفت آرائهم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

(١) سورة النحل: ٩٠

﴿ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(١)، وفي هذا تأكيد على وجوب العدل لأنه أقرب للتقوى.

ثم تأتي قضية العدل مرة أخرى واضحة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا

بَصِيرًا ﴾ (٢)، وأمرنا الله تعالى بالعدل في القول ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾

(٣)(٤)"

العدل ودوائر الانتماء البشري

يبدأ الانتماء تصاعدياً بانتماء الإنسان لنفسه، من خلال سعيه لأن يكون الأفضل؛ بتنمية مهاراته وقدراته، وإثبات نجاحه وتفوقه، باعتبار أن هذا النجاح والتفوق وسيلة مثلى للتواصل مع غيره، وإذكاء روح المنافسة الإيجابية، ثم بالانتماء إلى أسرته (وطنه الصغير)، من خلال الترابط العائلي وتنمية روح المشاركة بودٍّ وحب

(١) سورة المائدة: ٨

(٢) سورة النساء: ٥٨

(٣) سورة الأنعام: ١٥٢

(٤) من كتاب وكشفت أزمه الخليج عورتنا د. محمد عبده يماني صفحه ٨٠ : ٨١

وتألفٍ وتناغم، وبداية الإحساس بالمسؤولية الجماعية، ثم بالانتماء إلى المجتمع الصغير وهو المدرسة والجامعة للطالب، والوظيفة والعمل إلى من تخطى تلك المرحلة، ويظهر ملمح هذا الانتماء جلياً في الإحساس بالفخر لانتمائك إلى مدرسة كذا أو جامعة كذا، أو العمل في شركة ما، والدفاع عن هذا الكيان الذي ينتسب إليه، وعدم قبول أي مساسٍ به، فأى انتقاص من قدره يعده انتقاصاً لقدره وقيمه الذاتية...، ثم بالانتماء للوطن الكبير، وهو الذي يفرز حباً فَيَاً للوطن.

إن الانتماء للوطن وصيانته والحفاظ عليه، هو قيمة إسلامية؛ فأوطاننا قطعة من جسد الإسلام، وأهله جزء من أجزائه، ومؤسساته جزء لا يتجزأ منها، أما عدم الانتماء، فإنه يولد الفتور والسلبية واللامبالاة، وعدم تحمُّل المسؤولية.

ويصور لنا د. محمد عبده يماني هذه الدوائر وأثرها في الانتماء، فيقول: "العدل له دوائر كثيرة، بعضها أوسع من بعض، وهي تتدرج حسب سعة دوائر الانتماء البشري:

وتبدأ الدائرة الأولى بالعدل مع النفس.

ثم تليها دائرة العدل في الأسرة: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَتَلَثَ وَرَبِّعَ

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (١)

ثم تليها دائرة القربى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٢)

ثم تليها الدائرة القومية أو دائرة الأمة أو المجتمع الذي ينتمي

إليه الفرد أو الجماعة ذات العلاقة ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَتَنَلُوا النَّبِيَّ حَتَّىٰ يَفْصَلَ إِلَيْهِ أَمْرَ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ

اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٣)

وأخيرا تليها دائرة الإنسانية كلها: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾

(٤)

والعدل خلال هذه الدوائر مطلوب في جميع الأحوال

والظروف فهو مطلوب مع الأعداء والأصدقاء في أوقات الخصومات

وسوء الصلات وحسنها، وشيوع دلالة النضج والكمال والاستقامة،

(١) سورة النساء: ٣

(٢) سورة الأنعام: ١٥٢

(٣) سورة الحجرات: ٩

(٤) سورة النساء: ٥٨

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى
شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْمًا يُوَجِّهُهُ لآيَاتٍ بَخِيفٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١) (٢) .

(١) سورة النحل: ٧٦

(٢) من كتاب وكشفت أزمه الخليج عورتنا د. محمد عبده يماني صفحه ٨٢ : ٨٣

المبحث الثالث: الأنا وقضية الكبر

الكبر والاستكبار صفة ذميمة، وخلق سيء؛ حذر منه القرآن الكريم، والسنة النبوية، فهو من أقبح الخصال البشرية، ومن الرذائل التي لا ينبغي للإنسان الاتصاف بها، وله آثار مدمرة، وعواقب وخيمة في الدنيا والآخرة.

والكبر، هو الامتناع عن قبول الحق مُعاندة وتكبراً، والتعالي على الخلق، وعدم التواضع والشعور بأن له منزلة أعلى من غيره، دون وجه حق، والسخرية منهم، والانتقاص من حقهم.

والكبر، يعني كذلك العجب بالمال والسلطان والغرور بالقوة والأتباع والحسب والأنساب، وهو أول معصية عصي الله بها وبها طرد إبليس من رحمة الله، وكتب عليه الذل والهوان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١)

الْكَافِرِينَ ﴿١﴾

وقد حذر الإسلام من هذا الخلق السيء، وهذه الصفة الذميمة، فقال تعالى على لسان لقمان، وهو يعظ ابنه: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١)، وقال سبحانه: ﴿وَبَلِّغْ كَلِمَ الْفَالِقِ الْفَالِقِ ۗ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَادِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَانُوا يَسْمَعُهَا فَيَشْرَهُ بِعَدَابِ اللَّهِ ۗ أَلَيْسَ بِالْحَائِثِ: (٢)، وقال عز من قائل: ﴿سَاصِرُفٌ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٤٦ (٣).

وقد أثار د. محمد عبده يماني هذه القضية مبينا أثر الكبر وكيف أنه بداية النهاية لكل متكبر، وبين بداية ظهوره، ثم عرّج بالحديث عن صور من المتكبرين وكيف كانت عاقبتهم، فقال:

"تحول الكبرياء والغطرسة دون رؤية صاحبهما للحقيقة، وتحجب عنه الرؤيا وتمنعه من اتباع الحق، بل وقد تأخذ بيده نحو

(١) سورة لقمان: ١٨

(٢) سورة الجاثية: ٧-٨

(٣) سورة الأعراف: ١٤٦

الهلاك لمجرد العناد والمكابرة، فلا هو بقادر على رؤية الحق حقا ولا هو بمتبعه.

وقصة الكبر والتكبر والاستكبار بالنسبة للإنسان قديمة قدم

يوم خلقه فهي تبدأ يوم أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم ﴿ فَسَجَدَ

الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ

بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ

﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴿ (١) .

وقد عرف إبليس حجم هذه الخطيئة وخطرها فأغرى بها

الإنسان ولا يزال يغريه وسيظل إلى يوم يبعثون، فقد أقسم بعزة الله

قائلا: ﴿ قَالَ فِعْرَنِكَ لَأُعْوِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُحْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴿ (٢) . لذلك

حذر الله من الكبرياء والغطرس فقال في الحديث القدسي: (الكبرياء

ردائي فمن تردى به قصمته). (٣)

(١) سورة ص: ٧٣-٧٨

(٢) سورة ص: ٨٢-٨٣

(٣) أخرجه أبو داوود في سننه في كتاب: اللباس، باب: ما جاء في الكبر (١٨٩/٦) برقم (٤٠٩٠).

الكبر والغرور كما نرى في الحياة بداية النهاية في كل الأحوال،
 حدد إبليس خيريته بحالة في نفسه رآها لنفسه، فكانت (أنته)
 الشنيع فأهلكته، وتطلع آدم وزوجه إلى ما فوق الأنا البشرية أن
 يكونا ملكين فكانت الحالة التي وصفها الله بقوله: (فدلاهما بغرور)،
 واطردت المسالة عبر مسيرة البشرية ولا تزال. ﴿الْم تَرَى إِلَى اللَّهِ حَاجَّ إِبْرَهَمَ فِي

رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَهَمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَهَمُ فَإِنَّ اللَّهَ

يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (١)

هذه الأنا صدرت من معيار الكبر والغرور ورؤي القدرة البشرية
 على الخلق في ظل استبداد الملك وطغيان القهر، وغرور الذهول
 عن النفس والحق مع انعدام رؤية القدرة الإلهية العادلة الحكيمة
 السرمدية.

وهذا فرعون مصر عندما أصابه الكبر والغرور ، عندما أصابته
 الثروة والجاه والسلطان قال: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي
 مِن تَحْتِي﴾ (٢)، فتأله وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (١)، وطبيعي أنه لم ير أنه هو

(١) سورة البقرة: ٢٥٨

(٢) سورة الزخرف: ٥١

الرب وكفى، وإنما رأى نفسه فوق أرباب، ولا بد أن نتصور فيمن حوله من مكن لهذه الحالة الشعورية في نفسه حتى تطلع إلى بناء صرح يطلع منه إلى إله موسى ولم يكن غريبا بعد أن يتهم من هو أشرف منه فيتناول على مقام النبوة بعد تطاوله على مقام الربوبية فيتهم موسى عليه السلام في جهالة وبذاءة وسوء أدب ويرميه بظن كاليقين بأنه من الكاذبين واستخف قومه فأطاعوه.

وهذا قارون كانت العصابة من الأقوياء الأشداء تنوء بحمل مفاتيح كنوزه فما بالنا بكنوزه ذاتها، فهل رأى في ذلك نعمة الله وفضله عليه؟ أم أطلت الأنا الخبيثة المهلكة وغره ما ظنه في نفسه من علم أو قدرة على جمع الثروة أعمته عن واهب القدرة حتى قال:

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ

جَمْعًا ﴾ (٢).

وكذلك أهلك الله من بعده من القرون من لم يقر خالقية الله في كل ما خلق وقدرته ونعمته في كل ما أعطي ومنح من ملك وجاه

(١) سورة النازعات: ٢٤

(٢) سورة القصص: ٧٨

وسلطان أو مال وولد وعافية أو نعمة من نعم الله التي لا حدود لها ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (١) وهو معاقب من لم يعرف في ما رزقه الله حق الله وحقوقا توزعت لغيره فيما وهب عبده.

ومهما كان غنى الإنسان أو ثروته فلن تكون قيمته بما في جيبه أو خزائنه وإنما بمقدار ما يعمر قلبه من التقوى ونور الإيمان وتواضع لله، ولو أحس أنه استغنى بماله لكان في ذلك هلكته لأن رؤية الذات في حالة الاستغناء هي الوجه الآخر للطغيان المدمر ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (٢) أى رأى نفسه في تلك الحالة، أى أنها رؤية نفسية أو حالة شعورية، ولذلك كان نداء التوازن الخالد لكل البشر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٣) (٤).

وهذه صناديد قريش التي شهد لها العرب بالحكمة والعقل والقيادة في الرأي حالت الكبرياء والغطرسة دونهم ودون رؤيه

(١) سورة إبراهيم: ٣٤

(٢) سورة العلق: ٦-٧

(٣) سورة فاطر: ١٥

(٤) للعقلاء فقط د. محمد عبده يماني ١٤٤/١: ١٤٩

الحقيقة فرغم معرفتهم بصدق النبي وأمانته فقد كذبوه وعادوه وحاربوه وآثروا الغواية على الهداية والضلال على الهدى والفساد على الصلاح وأنكروا الحق وهم له عارفون واستمروا في التكبر والغطرسة والعناد حتى أوردتهم موارد الهلاك، وكما قال الله تعالى فيهم: فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون.

وهكذا رأوا العظمة بمقاييسهم ومعاييرهم وكذلك سولت لهم أنفسهم التي امتلئت حسدا وكبرياء واستعلاء وغطرسة وقالوا: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (١) (٢).

(١) سورة الزخرف: ٣١

(٢) للعقلاء فقط ٢٠٣/١ وما بعدها

الفصل الثالث

تصحيح المفاهيم

المبحث الأول: المفهوم الصحيح للجهاد

الجهاد في سبيل الله تعالى هو ذروة سنام الإسلام، وأعلى مراتب الجهاد هو جهاد النفس، قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

والجهاد بالقتال لا يستغرق إلا مدة المعركة وهي قليلة على كل حال، أما الذي يمتد العمر كله، ويعم الناس كلهم والأرض كلها فهو جهاد النفس.

وجهاد القتال وجود فيه الإنسان بنفسه من أجل سعادة غيره ففيه معنى الفداء، وهو صراع عارض لأجل الرجوع إلى حالة الاستقرار والتوازن التي خلق الله الناس عليها أول مرة.

فوسع لنا سيدنا رسول الله ﷺ مفهوم الجهاد، فشمّل جهاد النفس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحج، وغيرها.

(١) سورة الحج: ٧٨

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩

إن حقيقة جهاد النفس؛ هو الخضوع لأوامر الله سبحانه وتعالى، ولنواهيه، ولتكاليفه، وعدم الخروج عن المنظومة التي وضعها لنا الله سبحانه وتعالى.

وقد أخذت قضية الفهم الصحيح للجهاد اهتماما كبيرا عند د. محمد عبده يماني، فدرسها من جميع جوانبها ورد عنها شبهات المغالين بسهولة ويسر حتى تصل القضية إلى ربوع العالم بفهم صحيح، وبين أن الجهاد المطلوب والذي ينبغي أن يحرص عليه كل مسلم، هو جهاد النفس، الجهاد الذي يبدأ من داخل الإنسان، والذي يعتمد على صدق النية وكبت الغرائز والتقوى، فهذه هي أولى خطوات الجهاد الصحيح.

يقول رحمه الله: "برزت على الساحة قضية خطيرة وهي تحتاج إلى الفهم الصحيح، وهي قضية الجهاد، والجهاد المطلوب في هذه الفترة هو ذلك الجهاد الكبير الذي جاء عنه قول رسول الله ﷺ: (عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) فلما سئل عن ذلك أوضح أنه جهاد النفس الأمانة بالسوء.

من هنا تأتي أهمية التفاف العلماء والمفكرين حول هذه الفتنة ومحاصرتها في مهدها وعدم توزيعها، ولا بد أن يدركوا مسؤوليتها

ويتحسبوا لأبعاد أي غفلة منهم أو مجاملة، لأنهم قواد الأمة وملاذها ومخرجها من مثل هذه الفتنة بعد الله تعالى.

وهذه هي مهمتهم يأخذون بيد الأمة إلى الرشاد، وإلي فهم صحيح للجهاد، فلا يجوز أن ننسب إلى الجهاد أي تصرفات أو أعمال هي أقرب إلى التخريب والفساد أو الضلال أو انتهاك حرمت المسلمين أو نهب أموالهم أو هتك أعراضهم فنضل الأمة بذلك ونضيع المسلمين ونخلط عمدا بين تصرفات يجب ان نوقع فيها حدود الله على كل فاسق أو ظالم أو معتد أو ناشر لفساد، وبين ذلك الجهاد الذي يتسم بالشرف والنبل والدفاع عن حرمت الله ونصر المسلمين وتأييدهم وحفظ حقوقهم بل وحفظ حقوق غير المسلمين.

ولو نظرنا إلى المفهوم الحقيقي للجهاد كما أراده الله عز وجل وكما مارسه رسول الله ﷺ وكما تعلمه منه صحابته الكرام رضوان الله عليهم وصار عليه السلف الصالح من هذه الأمة لأدركنا أن الجهاد له أصوله وقوانينه وأغراضه ووسائله وآدابه.

وقبل ذلك كله تأتي قضيه النية الخالصة لوجه الله؛ لأن الجهاد فضيلة ولا يصح أن نسعى إلى رذيلة من الرذائل عن طريق توظيف

قضية عظيمة كقضية الجهاد لبلوغ تلك الأهداف الخسيصة، بل لا بد أن يدرك كل الذين يرفعون لواء الجهاد أن الله هو المطلع على النيات، وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

حرص رسول الله ﷺ على أن يعلمنا أن الجهاد باق في أمة محمد ﷺ وماض فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لكنه جهاد من أجل الفضيلة وفي سبيل حفظ الشرف تخدم به الأغراض السامية في الدفاع عن العقيدة والأوطان والأمة بالحق وفي الحق، يرجوا به المجاهد وجه الله عز وجل ولا يسعى إلى دنيا يصيبها أو سمعة يوظف من أجلها عملية الجهاد، وإنما جهاد خالص لله وفي الله يرجوا به وجه الله أولا وأخيرا. وكما قال رسول الله ﷺ: "الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر" (١).

وعندما ينتصر الإيمان في النفس يسموا الإنسان بالطهارة وتصبح لديه القدرة على جهاد نفسه بل وحملها على الفضائل، ولهذا فمن واجب الأمة أن تعني بقضية التربية على الجهاد وتوعية الناشئة بمفهومه وأبعاده وأهميته ودوره في بناء الأمة والمجتمع.

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب: في الغزومع أئمة الجور (١٨٤/٤) برقم (٢٥٣٢).

ولعل من أبرز أنواع الجهاد حمل النفس على الطاعة وربطها بذكر الله عز وجل وهذا رسول الله ﷺ يجعل هذه القضية من أذكي الأعمال حيث قال ﷺ: (ألا ادلكم على خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم قالوا بلى يا رسول الله قال: ذكر الله) (١).

ولابد أن ندرك أن قضية الجهاد بالمال أيضا لها فضلها ودورها حتى أننا نجدها في بعض الآيات قد قدمت على النفس ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيفِ نُجُحِكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْءَلِيمِ ۝١٠ تَوَمَّنُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ حَبِيرٌ لَّكُمُ ٱلْءَنۢبَىٰ ۝١١ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدۢخِلِكُم جَنَّٰتٍ تَجۢرَىٰ مِن تَحۢتِهَا ٱلۢأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۢنَ ۚ ذَٰلِكَ ٱلۢفَوۢزُ ٱلۢعَظِيمُ ۝١٢ وَأَخۢرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصَرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَنۢحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ ٱلۢمُؤۢمِنِينَ ۝﴾ (٢).

ثم إن الرسول ﷺ كان يوصي الرجال عندما يسألون عن أفضل الأعمال بالجهاد بالمال والنفس، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أي الناس أفضل؟ قال: (مؤمن يجاهد

١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب أبواب الدعوات، باب: ما جاء في فضل ذكر الله (٣٢٠/٥) برقم (٣٣٧٧).

٢) سورة الصف: ١٠-١٣

بنفسه وماله في سبيل الله) قال: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره) (١).

ومن هنا فالجهاد يبدأ من داخل الإنسان، وينبغي ألا نخطئ في نقطة البداية وأن ندرك أن صدق النية وكبت الغرائز والتقوى هي أولى خطوات الجهاد الصحيح" (٢).

أنواع الجهاد.

الجهاد أنواع: جهاد النفس، وجهاد الدعوة، وجهاد العدو.

النوع الأول: جهاد النفس، وهو أعظم أنواع الجهاد، وذلك لأنه الأصل في كل جهاد، وقد قال رسول الله ﷺ: (أتدرون من المجاهد؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل) (٣).

١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب: أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله (١٥/٤) برقم (٢٧٨٦).

٢) وكشفت أزمة الخليج عوراتنا د. محمد عبده يماني ص ١٢: ص ١٦.

٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند فضالة بن عبيد الأنصاري (٣٨١/٣٩) برقم (٢٣٩٨٥).

والمعركة في داخل الإنسان مستمرة بين الإيمان والنفاق، ومن لم ينتصر في معركة نفسه لا ينتصر في غيرها، ومثل الإيمان في القلب كمثل شجره يمدّها الماء الطيب، والماء الطيب هو العمل الصالح، فإذا رويت شجرة الإيمان بالعمل الصالح الذي هو حياتها وغذاؤها تغلبت على شجرة النفاق فأماتها، وذكر الله يكون بالقلب واللسان والجوارح والأعضاء.

النوع الثاني: جهاد الدعوة، فهو الدعوة إلى الله عز وجل كما أمر، قال الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالنِّسْبَةِ الْحَسَنَةَ وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ وَجَدِّ لَهُم بِالنِّسْبَةِ الْحَسَنَةَ وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ ﴾ (النحل: ١٢٥) (١)، وجهاد الدعوة من جهاد النفس فمن لم يكن قدوة صالحة ومثالا طيبا لا يستجاب له، ومن يدعو إلى الخير ولا يعمل به يسخر منه الناس ويغضب الله عليه أشد الغضب ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَمْ تَقُولُوا ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢).

وعلى الجميع أن يجاهدوا في سبيل الدعوة إلى الله في جميع المجالات كل في دائرة عمله حتى يشعر الجميع بوجودك وبوجود الإسلام معك، يتحرك في أحبابه وبحيوية الإسلام في إصلاح

(١) سورة النحل: ١٢٥

(٢) سورة الصف: ٢-٣

المجتمع وفي إصلاح الأمة وفي حشد طاقاتها وإمكاناتها في خدمة الإسلام.

فالكبير له دوره في الرأي والتدبير والمرأة لها دورها في ترميض النساء وتضميد جراحهن وفي الإطعام والإنفاق والصغير له دوره كل له دوره في الإسلام.

النوع الثالث: جهاد العدو، وهذا واجب على عموم المسلمين، بأن لا يترك المسلمون لأعداء الإسلام فرصة يدخلون منها، فتكون الحدود محروسة ماديا ومعنويا، وكل مسلم على الإطلاق له دور في حماية وطن الإسلام. (١).

إن قضية الجهاد أو القتال في الإسلام من القضايا الخطيرة والتي يتهم فيها الإسلام ظلما وعدوانا من أعدائه الذين يتحينون الفرص للنيل منه والإساءة إليه، لذا وجب وضع الأمور في نصابها وفهم آيات القتال والجهاد فهما صحيحا بغير إفراط ولا تفريط.

(١) وكشفت أزمة الخليج عورتنا د. محمد عبده يماني من ص ٦٦ إلى ٧٠

ومن ذلك: قوله تعالى ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبَهُمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٤)

عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴿١٤﴾ (١)، فقد جعل بعض الطاعنين في الإسلام هذه الآية على دليلا أنها تحت المسلمين على قتال المعارضين بغير وجه حق.

والحق: إن هذه الآية وردت في سياق متصل، وعزلها عن السياق الذي جاءت فيه هو سبب الخطأ في فهم هذه الآية قال تعالى: ﴿ وَإِنْ نَكَرْتُمْ أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (١٣) أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَرْتُمْ أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ أُبَاحُ حَرَجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ أَخْشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٣) قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبَهُمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢) فالأمر بالمقاتلة هنا ليس عاما، ولكنه متعلق بقوم نكثوا العهد، وطعنوا في الدين وأخرجوا المسلمين من ديارهم، وتربصوا بقتل النبي ﷺ ليلة الهجرة.

(١) سورة التوبة: ١٤

(٢) سورة التوبة: ١٢ - ١٤

ومما يتعلق بهذا المقام ضرورة التفريق بين (اقتلوا - وقاتلوا) فاقتلوا: أمر بإزهاق الأرواح، أما قاتلوا فهو لفظ من ألفاظ المفاعلة، وألفاظ المفاعلة بحسب الدلالة اللغوية تدل على مشاركة طرفين فهناك من يقاتل ظلما وعدوانا، وهناك من يقاوم هذا الظلم، وهذا يستفاد من التعبير بهذه الصيغة "قاتلوا". وهذا هو فهم الأئمة لهذه الآية.

فالمقاتلة تعني المحاربة وتحري القتل من الطرفين، وهذا يقتضي المجابهة لرد الاعتداء؛ لأن الفعل واقع من كل واحد وعليه وهي من باب الفاعلين والمفعولين الذي يفعل كل واحد بصاحبه ما يفعله صاحبه به، فالسياق طبيعي لنزول الآية من باب الرد بالمثل.

ولذلك في موضع آخر لما تجمع الكفار وتواطئوا جميعا على قتال المسلمين اقتضى السياق المثلية في المواجهة فأنزل الله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١)،

والمعنى: قاتلوهم جميعا كما يقاتلونكم جميعا، وهذه هي قواعد الحرب أن كلا من الطرفين يتربص بالآخر لتكون له الغلبة فإذا جاز ذلك للمشركين فمن باب أولى أن يجوز للمسلمين لأنهم أصحاب

(١) سورة التوبة: ٣٦

حق ومظلومون. فإن لم تكن هناك ضرورة للحرب وتوقف الآخر
عن قتال المسلمين سارع الإسلام إلى السلم أخذا بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ
جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) ذلك أن الإسلام يحب
البقاء ويكره الفناء (٢).

(١) سورة الأنفال: ٦١

(٢) بتصرف من مقال بعنوان: التأصيل العلمي لفهم آيات القتال، منشور على: مرصد
الأزهر لمكافحة التطرف.

المبحث الثاني: قضية التكفير

إن قضية التكفير قضية خطيرة، لأنها تعني إخراج المسلم من دينه، لذلك ينبغي أن يكون التحرك هنا بدقة، فهناك قواعد أن ننتبه إليها عند الحديث عن هذه القضية، وهي مستنبطة من قول النبي ﷺ: "من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته" (١).

ولقد انطلق الإمام الأشعري من هذه القاعدة، فألف كتابا عظيما بعنوان: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، وذكر فيه جميع الفرق التي تعتنق الإسلام، ولم يكفر واحدة منهم.

إن قضية التكفير من أخطر القضايا التي ابتلي بها المسلمون، لذا حذرنا النبي ﷺ تحذيرا كبيرا منها، فقال ﷺ ليسد باب التكفير تماما عن الأمة الإسلامية: "أيا امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه" (٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: باب: فضل استقبال القبلة (٨٧/١) برقم (٣٩١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (٧٩/١) برقم (٦٠).

وقد تعجب د. محمد عبده يماني من جرأة الناس على التكفير
وتساهلهم برمي الناس بالكفر، فقال:

"بعض الناس أصبح لديهم الجرأة على تكفير الناس بكل
سهولة فتراهم يتساهلون في نسبة الناس إلى الكفر واتهامهم به
بمجرد المخالفة في رأي أو قول أو ارتكاب خطيئة عابرة.

وكلمة الكفر ليست كلمة سهلة ولا بسيطة ولا يصح الاستهتار
بها أو إلقائها على عواهنها بدون دليل واضح، فمن كفر مسلماً بدون
وجه حق فقد ارتكب اثماً عظيماً، ومن كفر مسلماً فقد كفر، ولا
ينبغي أن يكفر مسلم يحتمل قوله أو عمله الكفر وعدمه إلا إذا كان
التكفير بقوله أو عمله مجمعا عليه" (١).

ولا أدري "كيف يجترئ مسلم على تكفير الجماهير التي تشهد
أن إلا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإن خلطوا عملاً صالحاً
وآخر سيئاً؟ إن الإيمان قد يجمع شعبة أو أكثر للكفر أو الجاهلية أو
النفاق، وهذه الحقيقة قد خفيت على كثيرين في القديم والحديث،
فحسبوا أن المرء إما أن يكون مؤمناً خالصاً أو كافراً خالصاً، ولا

(١) كلمة طيبة د. محمد عبده يماني ص ٧٠

واسطة بينهما، إما مخلصا محضا أو منافقا محضا، وقريب منه من يقول: إما مسلم محض أو جاهلي محض، ولا ثالث لهذين الصنفين" (١).

"وقد صرح العلماء بأنه لا يكفر مسلم بقول يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها ويحتمل الإيمان من وجه واحد.

وحتى المرتد يمهل ثلاثة أيام كما يقول الامام أحمد رحمه الله: من ارتد عن الإسلام من الرجال والنساء وهو بالغ عاقل دُعي إليه ثلاثة أيام (٢)، فإذا كان هذا حال المرتد عن الإسلام فكيف بمن ارتكب خطأ أو هفوة أو نحو ذلك مما لا يخرج من الملة وإن كان مذنباً أو مخطئاً.

(١) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، الشيخ محمد الغزالي.

(٢) ذهب أبو حنيفة والشافعي - في قول - وأحمد في رواية والحسن البصري إلى أن استتابة المرتد غير واجبة. بل مستحبة كما يستحب الإمهال، إن طلب المرتد ذلك، فيمهل ثلاثة أيام، وعند مالك تجب الاستتابة ويمهل ثلاثة أيام، وهو المذهب عند الحنابلة، وعند الشافعي في أظهر الأقوال يجب الاستتابة وتكون في الحال فلا يمهل، وثبتت الاستتابة بما ورد أن امرأة يقال لها أم رومان ارتدت فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرض عليها الإسلام فإن تابت وإلا قتل، ولأثر عن عمر رضي الله عنه أنه استتاب المرتد ثلاثاً. الموسوعة الفقهية الكويتية (١٩١/٢٢)

وهذا رسول الله ﷺ يعلمنا بأن أي رجل يرمي رجلا آخر بالفسوق أو يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك.^(١)

ومن هنا جاءت خطورة الجرأة على نسبة الكفر إلى المسلمين وعظيم ذنب الإسراف في تكفير الناس، وهذا في حد ذاته يخالف تعاليم المصطفى ﷺ الذي أمرنا بأن ندعوا إلى سبيل الله ونصبر ونتحمل كما صبر وتحمل هو ﷺ ودعا إلى الله على بصيرة ودعا إلى سبيل ربه وفق أمر الله بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٢)، وعلمنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم وأن لا نجادل لسفهاء بصورة تستعديهم بل بصوره تستوعبهم وتأخذ بأيديهم نحو فهم أكبر ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣).

(١) يشير د. محمد عبده يماني إلى حديث: "أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه"، والحديث أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (٧٩/١) برقم (٦٠).

(٢) سورة النحل: ١٢٥

(٣) سورة النحل: ١٢٥

وهذا رب العالمين يعلم سيدنا محمد ﷺ ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: ١٥٩ (١)، ويقول لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَ إِلَى

فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٤٣﴾، فَقَوْلَاهُ، قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٢)، وما قال الله ذلك إلا

لحكمة وغاية يريد أن يعلمها عباده الداعين إلى سبيله لتكون
دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة والأسلوب
المحِبُّ المَقْبُول (٣).

١ (سورة آل عمران: ١٥٩)

٢ (سورة طه: ٤٣-٤٤)

٣ (كلمة طيبة ص ٧٠، ٧١)

المبحث الثالث

الحرية الدينية والرد على دعوى انتشار الإسلام بالسيف

أقرت شريعة الإسلام مبدأ الحرية الدينية؛ فلم تُكره أحدًا على اعتناق دينًا بعينه، وضمنت لأهل كل ديانة أن يمارسوا طقوسهم الدينية في دور عبادتهم في بلاد المسلمين بكل حرية، ومن دون أدنى تعرّض لهم أو لأيّ شيءٍ من مقدساتهم، وهذا أمر ثابت منذ عهد رسول الله ﷺ وحتى يومنا هذا.

إنّ الحرية الدينية أو حرية المعتقد تعني أن لكل فرد الحق في اعتناق دين أو عقيدة، وأن يعبر عنه، ويمارس هذا الدين كما يشاء طالما لا يضر بحريات الآخرين، ولا يتعدى عليهم.

والحرية الدينية من الحقوق الأساسية التي تمنحها الدول لأفرادها دون تمييز بين أصحاب الأغلبية أو الأقلية الدينية، واحترام مشاعرهم الدينية، وعدم إكراههم أو إجبارهم على تغيير معتقداتهم أو اعتناق غيرها، فالإكراه والإجبار يتنافى مع الحرية الدينية التي كفلتها الشريعة الإسلامية ضمن الحقوق الأساسية التي يتمتع بها جميع الأفراد؛ وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ

مِنَ الْعَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ (١) فحرية الاعتقاد حق مكفول شأنه في ذلك شأن حق

الحياة وجميع الحقوق الإنسانية الأخرى.

وتعتمد حرية الاعتقاد في المقام الأول على قبول الآخر، والتسامح معه، والاحترام المتبادل، والتعايش السلمي بين أفراد الجماعات الدينية المختلفة؛ حيث إن حرية الاعتقاد ليست قاصرة على دين بعينه، وإنما تشمل جميع الأديان والمعتقدات.

وشغلت هذه القضية أذهان العلماء والمفكرين، يقول د.

محمد عبده يماني: "الحرية الدينية أمر أولاه الإسلام أهميه كبرى حيث أن الإسلام اتسم بالسماحة، فقد كانت الدعوة الإسلامية كلها سماحة ووعي وإدراك بأبعاد وأهميه الحرية واحترام كرامة الإنسان فكان الإسلام يدعو المسلمين إلى التسامح واحترام حرية الآخرين حتى مع أعدائهم، ولعل هذا من الأمور التي ساعدت على انتشار الإسلام، فقد احترم حرية العقيدة.

(١) سورة البقرة: ٢٥٦

وأكد الإسلام في أكثر من موضع أن الإنسان حر في اعتقاده وأنا
 إنما ندعوه للإسلام ولكن لا نكرهه على ذلك، والآية في ذلك
 واضحة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١) وكذلك الآية الأخرى

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

إذن هي دعوة صادقة إلى احترام حرية الآخرين، وفي قمتها
 الحرية الدينية مع وجود الدعوة الى الله بدون إكراه وبدون
 اضطهاد" (٣).

يقول الله تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤) إن هذا البيان القرآني بإطاره الواسع الكبير الذي يشمل
 المكان كله، فلا يختص بمكان دون مكان، والزمان بأطواره المختلفة
 وأجياله المتعاقبة فلا يختص بزمان دون زمان، والحالات كلها
 سلمها وحربها فلا يختص بحالة دون حالة، والناس أجمعين

(١) سورة البقرة: ٢٥٦

(٢) سورة يونس: ٩٩

(٣) للعقلاء فقط ١٥/١

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٧

مؤمنهم وكافرهم وعربهم وعجمهم فلا يختص بفئة دون فئة؛
ليجعل الإنسان مشدوهاً متأملاً في عظمة التوصيف القرآني لحقيقة
نبوة سيد الأولين والآخرين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١) رحمة
عامة شاملة، تجلت مظاهرها في كل موقف لرسول الله ﷺ تجاه
الكون والناس من حوله.

والجهاد في الإسلام حرب في غاية النقاء والطهر والسمو، وهذا
الأمر واضح تمام الوضوح في جانبي التنظير والتطبيق في دين
الإسلام وعند المسلمين، وبالرغم من الوضوح الشديد لهذه
الحقيقة، إلا أن التعصب والتجاهل بحقيقة الدين الإسلامي
الحنيف، والإصرار على جعله طرفاً في صراع وموضوعاً للمحاربة،
أحدث لبساً شديداً في هذا المفهوم -مفهوم الجهاد- عند المسلمين،
حتى شاع أن الإسلام قد انتشر بالسيف، وأنه يدعو إلى الحرب وإلى
العنف.

ويكفي في الرد على هذه الحالة من الافتراء، ما أمر الله به من
العدل والإنصاف، وعدم خلط الأوراق، والبحث عن الحقيقة كما

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧

هي، وعدم الافتراء على الآخرين؛ حيث قال سبحانه في كتابه العزيز:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

ولقد فطن لبطلان هذا الادعاء كاتب غربي كبير هو توماس كارليل، حيث قال في كتابه "الأبطال وعبادة البطولة" ما ترجمته: إن اتهامه -أي سيدنا محمد- بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها. اهـ (٢).

ويقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام في عهده ﷺ وفي عصور الفتوحات من بعده: [قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة...، ولم ينتشر القرآن إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرًا كالترك

(١) آل عمران: ٧١

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه (ص ١٦٦).

والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ما زاد عدد المسلمين على خمسين مليون نفس فيها...، ولم يكن القرآن أقل انتشارًا في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط] اهـ. (١)

هذا وقد مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة عشر عامًا، يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد كان نتاج هذه المرحلة أن دخل في الإسلام خيار المسلمين من الأشراف وغيرهم، وكان الداخلون أغلبهم من الفقراء، ولم يكن لدى رسول الله ﷺ ثروة عظيمة يغري بها هؤلاء الداخلين، لم يكن لديه إلا الدعوة والدعوة وحدها.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تحمّل المسلمون -لا سيما الفقراء والعبيد ومن لا عصبية له منهم- من صنوف العذاب وألوان البلاء؛ ما تعجز الجبال الرواسي عن تحمله، فما صرفهم ذلك عن دينهم، وما تزعزت عقيدتهم، بل زادهم ذلك صلابة في الحق، وصمدوا صمود الأبطال مع قلتهم وفقرهم، وما سمعنا أن أحدًا منهم ارتدّ سخطًا عن دينه، أو أغرته مغريات المشركين في النكوص

(١) حضارة العرب (ص ١٢٨-١٢٩).

عنه، وإنما كانوا كالذهب الإبريز لا تزيده النار إلا صفاءً ونقاءً،
وكالحديد لا يزيده الصهر إلا قوةً وصلابةً، بل بلغ من بعضهم أنهم
وجدوا في العذاب عذوبة، وفي المرارة حلاوة. أفصح مع هذه
الحقائق الناصعة أن يقال: إن محمدًا ﷺ قد قهر الناس، وحملهم على
الدخول في دينه بالقوة والإرهاب والسيف؟! (١).

لقد ثار د. محمد عبده يماني لهذه الافتراءات فحذر منها ورد
عليها مفندا أباطيلها فقال:

"ولا شك أن هناك من يروج لفكرة أن الإسلام انتشر بالسيف
ويدعي أن الإسلام لم يحترم حرية العقيدة، وهذه فرية تفتري على
الإسلام ومن أولئك الحاقدين الذين لم ينصفوا الإسلام، ويعمدوا
إلى مغالطة الواقع وتزوير الحقائق التاريخية لأن المسلمين لم
يحارب ليكرهوا الناس وإنما كانت كل حروب الإسلام ردعا للذين
بغوا على المسلمين واضطهدوا المسلمين، وكان فيها حرص على
تأمين العقيدة ودفع الفتن و منعها وكانت ردا للعدوان وتحقيقا
للحرية الدينية لهؤلاء المسلمين الذين يريدون أن يحتفظوا
بعقيدتهم فيأبي طغاة قريش ويذيقونهم ألوانا من العذاب

(١) مقال بعنوان: الرد على مقولة انتشار الإسلام بالسيف، موقع دار الإفتاء المصرية.

والاضطهاد ويخرجونهم من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله فصبروا حتى قويت شوكتهم واقتصوا لأنفسهم دفاعا عن حريتهم وعن معتقدتهم الإسلامي.

فهو إذا لم ينتشر بالسيف ولم يستخدم السيف لإجبار الناس أو إكراههم أو حجب حريتهم بل على العكس من ذلك استخدم السيف لدفع الفتن و تثبيت العقيدة وردع الطغاة، ولهذا فلا تعارض مطلقا بين دعوة الإسلام إلى احترام الحرية الدينية لغير المسلمين وبين استخدام السيف للدفاع عن حق مهدر أو مغتصب أو كرامة مهذرة (١).

(١) للعلاء فقط ١٥/١

المبحث الرابع

نظرة الإسلام إلى الحوار مع الآخر واحترامه ومعاملته

احترام الآخر مبدأ إسلامي لا يمكن إنكاره أو التشكيك فيه، تؤكد آيات القرآن الكريم والسنة العطرة للرسول الكريم ﷺ، فالإسلام لا يعرف التعصب أو رفض الآخر، بل يعترف به ويحترم عقيدته ويؤمن بحريته في الاختلاف، ويعلم أتباعه أنه لا إكراه في الدين، ورسخ مبدأ الحرية الفكرية، وشجع على حرية الرأي، وأعلى شأن العقل والمنطق، وأقام منهجاً متكاملًا في الحوار وحرية المعارضة والاختلاف دون تجريح أو تشويه أو اقصاء.

ومما يؤكد أن الإسلام لا يعرف التعصب الديني، ويعترف بالآخر: أنه اعترف بالأديان السماوية السابقة عليه، وهو ختام الرسالات السماوية، وهي كلها خرجت من مشكاة واحدة، واعترف أيضا بحرية العقيدة وحق الآخر في إقامة شعائره الدينية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (١).

(١) سورة البقرة: ٢٥٦

تفرد الإسلام بأن جعل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
المكان الأسمى في كل ما ينادي به من نظم مما يقضي على التعصب
داخل المجتمعات الإسلامية، وهو ما يفسر كثرة عدد الاقلييات
الدينية داخل البلاد الإسلامية.

التسليم بمبدأ حرية العقيدة في الاسلام اقتضى عدم جواز إكراه
أحد على الدخول في الاسلام ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۗ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ ﴾
(١)

وإعمالاً لحرية العقيدة في الاسلام كانت الدعوة إليه بالحسنى،
وهو ما أكدته القرآن: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢)

ولا يقف الإسلام عند حد تقرير المبدأ، فهو يمنع أيّ أحد كائناً
من كان من أن يحاسب أحد على اعتقاده في الحياة الدنيا، بل جعل
ذلك للخالق وحده يحاسب عليه في الحياة الآخرة، فمن التجني على

(١) سورة الكهف: ٢٩

(٢) سورة النحل: ١٢٥

الإسلام ما يروجه بعض الباحثين في الغرب من أن الإسلام يحجر على الآخر أو يضطهده أو يجبر الناس على اعتناقه.

إن أهم أسباب انتشار الإسلام: سماحته واعترافه بالمساواة بين المسلمين وأهل الكتاب، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، والعدل معهم بمعانيه العديدة، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، لأن الإسلام شريعة سماوية تخاطب البشر أجمعين دونما تمييز بسبب الدين أو اللغة أو الأصل أو الحرفة أو الطبقة الاجتماعية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (١) فالأمر بالعدل والنهي عن الظلم خطاب عام للمسلمين وغيرهم.

لذلك حرص الإسلام على أن يفرد بالذكر العدل مع الأعداء، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢)، ويمتد الحكم بالعدل إلى المشركين من غير أبناء دار الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ

(١) سورة النساء: ٥٨

(٢) سورة المائدة: ٨

مَا مَنَّهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، وتمتد حسن المعاملة إلى أسرى الحرب

لقوله تعالى: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا

شُكْرًا ﴿٢﴾.

"إننا في واقعنا اليوم نحتاج إلى كلمة راشدة، وإلى خطوات صحيحة وفاعلة تعيدنا إلى الصواب، وتبعدنا عن هذه الغوغائية المقبلة.

إن مسئولية المفكرين والمثقفين في العالم الإسلامي تستوجب ترشيد الأمة والأخذ بها نحو جادة الصواب، وأن يعينوا الناس على فهم حقيقة الأمور.

ولا شك أن هذا يقودنا إلى التفكير بعمق في قضية نظرة الإسلام إلى الحوار واحترامه للرأي الآخر، ولهذا ينبهنا إلى ضرورة الجدل بالتي هي أحسن.

وحتى عندما يأتي الحوار مع غير المسلمين فإن الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نحتكم إلى الكلمة، هي كلمة سواء ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى

(١) سورة التوبة: ٦

(٢) سورة الإنسان: ٨-٩

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴿١﴾ يتضح في هذه الكلمة السواء أبعاد المنهج دون تشنج ولا عصبية بل بالعقل والإحسان والقسط واحترام الانسان كإنسان، واحترام رأيه حتى ولو لم يكن مسلماً ما دام في حالة حوار ولم يحارب المسلمين أو يقاتلهم، فجاء التوجيه بحسن المعاملة ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

(٢) فهذا التوجيه في حسن المعاملة وحسن الحوار والقسط مع غير المسلمين فكيف يكون الحال مع المسلمين الذين يجمعهم دين واحد وأخوة واحدة، بل إن الامر يتعدى ذلك في حالات الخصومة العابرة، والقرآن يعلمنا أن نكسب الطرف الاخر وأن نستميل الرأي الآخر، ونلغي العداوة ونزيلها ونحوه من عدو إلى صديق ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣) (٤) .

يتميز المنهج الاسلامي في التعامل مع الآخر والحوار معه بمجموعة من الضوابط التي تؤكد تفتح العقلية الإسلامية وتفردتها،

(١) سورة آل عمران: ٦٤

(٢) سورة الممتحنة: ٨

(٣) سورة فصلت: ٣٤

(٤) من كتاب وكشفت ازمه الخليج عوراتنا صفحه ٧٩ وما بعدها.

منها: أن الحكمة ضالة المؤمن أني وجدها كان أحق بها فيجب عليه أن يبادر بالتقاطها وتحصيلها والإفادة منها وشكر صاحبها عليها، وألا يعرف الحق بالرجال، وإنما يعرف الحق، ثم يعرف اهله.

هاتان القاعدتان تلقيان الضوء على أسلوب الحوار مع الآخر وكيف نتعامل معه، فلا نهتم بصاحب الرأي بقدر ما نصرف اهتمامنا وتأملنا إلى النظر في الرأي نفسه تمحيصاً وتدقيقاً، وهل هو من قبيل الحكمة فيقبله المسلم ويشكر صاحبه عليه، أم من قبيل العبث فيرده، ولا عبرة في هذا الموقف بالشخص القائل أياً كان دينه أو ثقافته ولونه وجنسه ما دام القول في ذاته حقاً والرأي حكيماً.

إن الخالق سبحانه خلق البشر بعقول ومدارك متباينة مع اختلاف الألسنة والألوان والأعراف والتصورات والأفكار، ومن الطبيعي أن يكون هناك تعدد في الآراء والأحكام والمواقف، والعمران الانساني يحتاج إلى هذا التعدد، لأن به يتحقق ازدهار وتطور الحياة.

المبحث الخامس

الوسطية والتوازن سبيل سعادة الإنسان

خلق الله تعالى الإنسان من روحٍ وجسدٍ، وديننا دين الاعتدال والتوازن، فلا غلو فيه ولا تغالي، ولا إفراط فيه ولا تفريط، فقد وازن الإسلام بين جانب الروح والمادة في الإنسان، فأعطى للبدن حقه، وللروح حقه، كما أن الإسلام هو دين دنيا وآخرة؛ والله عزّ وجل أنكر على الذين يحرمون الطيبات مُعتقدين أن ذلك من الورع، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٢).

وقد بين د. محمد عبده يماني هذا بقوله: "يقوم المنهج الإسلامي على أساس أن الإنسان مادة وروح، ولئن أردنا السعادة فلن يكون إلا بإيجاد التوازن بين هذين العنصرين، والمادة ليست إلا وعاء الروح في الحياة الدنيا، والروح من أمر الله وهي سبيل الشعور

(١) سورة الأعراف: ٣٢

(٢) سورة المائدة: ٨٧

بالمعنويات بما في ذلك السعادة، ومظهرها التسامي إلى صفات الكمال، ومتطلبها الاستعلاء المعنوي.

ومن هنا فالنظرية الإسلامية تقوم على ركيزتين هما: إشباع الرغائب الحسية بحيث لا يكون ذلك على حساب متطلبات الإشباع الروحي، وإشباع الرغائب الروحية في نفس الوقت.

هذه الركائز إنما تهدف إلى إسعاد الفرد وتوفير الرفاهية، وليست الرفاهية مجرد استمتاع مادي بريء أم غير بريء، وإنما الرفاهية الحقة هي أن يتمتع المسلم بالمال الحلال في الوجه الحلال، وفي أن تكون المادة موضوع الاستمتاع مسخرة لغرض من الأغراض المنسجمة مع المثل الإسلامي الأعلى.

وهذا الاستمتاع المادي بهذه الصورة المحدودة، يحتم أن يكون الاستمتاع لصالح الانسانية والخير البشري، فلا نفع في استمتاع فردي يعود على الغير بالضرر والأذى، ذلك أن الإسلام ينظر إلى البشرية عامة ويخاطب الناس كافة، فكل نظام يضر

المجتمع وإن انتفع به بعض الأفراد نظام يتنافى مع الفكرة الإسلامية والعقيدة الصحيحة" (١).

مما لا شك فيه أن الله جلّ في علاه هو خالق الناس أجمعين، وهو عليم بما يصلح لهم، وما يوافق ما فطرهم عليه، ويعلم سبحانه أضرار عدم إشباع تلك الفطرة أو المبالغة في إشباعها، وجعل الميزان هو الاعتدال فجاء هدي نبيه ﷺ موافقاً لذلك.

إن الإنسان مزيج من روح وجسد، بل تشكلت إنسانيته بالروح والبدن المادي، فلا يجوز أن يطغى أحدهما على الآخر، ولكل من الروح والجسد المادي حقوقه وخواصه، وقد خلق الله سبحانه لكلٍ منهما حاجته وما يتناسب معه باعتدال.

ينبغي للمسلم أن يعطي نفسه حقها من الراحة والمباحات، وألا تكون حياته كلها في العبادة، بمعنى أن يحقق الموازنة بين متطلبات الروح والجسد امتثالاً لأمر الله تعالى وهدي النبي ﷺ، وليس معنى ذلك أن يفعل حراماً بحجة أنه يرتاح من عناء العبادة.

(١) المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية ص ٥١، ٥٢

نجد من مواقف النبي ﷺ مع الصحابة رضي الله عنهم أنه رَبِّي الشباب التربية القائمة على الموازنة بين الروح والجسد، وهذا التوازن الدقيق هو المنهج السليم في التربية، وغلبة أحد الجوانب على حساب الجانب الآخر؛ سيؤدي إلى خللٍ في بناء الذات، وانحراف عن منهج الإسلام.

يقول د. محمد عبده يماني: "وهكذا نرى المنهج الإسلامي يسعى إلى خلق إنسان متوازن في فرديته، ومتوازن في ميله إلى الجماعة وتعاونه معها، وهو يصل إلى ذلك بوسائل شتى، فيصل قلب الفرد بالله في عبادة خاشعة ومناجاة رائعة، تملأ القلب حبا لله وخضوعا له وإذعانا لحكمته، وتنمو بذلك الشخصية الاستقلالية التي لا تعرف الأثرة البغيضة، فإذا الفرد بهذه الروح إنسان يحس بمسؤوليته الكبرى تجاه الجماعة فلا ينغلق على نفسه؛ لأن من ينبوع الإيمان وشعور المسؤولية تنبثق الروح الجماعية فإذا القلب الذي رباه الإيمان وسيطرت عليه المسؤولية مصدر الحب والرحمة والاخلاص والوفاء يرتبط بالجماعة أوثق ارتباط، يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويهتم بأمر المسلمين ويسعى في مصالحهم ويؤثرهم على نفسه وينصح لهم ويتعاون معهم.

وبهذا صاغ الإسلام دين الفطرة هاتين النزعتين الأصيلتين في هذه الفطرة البشرية هذه الصياغة المحكمة الرائعة النافعة، فكان منهجه بذلك منهج الخير والاستقامة والطمأنينة والسلام (١).

(١) المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية د. محمد عبده يماني ص ٥١، ٥٢

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فهذه دراسة نقبت فيها في كتابات المفكر الإسلامي الكبير د. محمد عبده يماني، مستخرجا إشارات، وما من الله به عليه من إشراقات حول بعض معاني آيات القرآن الكريم، والتي غاص فيها مبرزا علاج القرآن لمشكلات المجتمع والنهوض به إلى أقوم طريق.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول يندرج تحتها مجموعة من المباحث، كل فصل منها خصصته لمجموعة من القضايا والموضوعات المشتركة التي تناولها الراحل الكريم.

أسأل الله أن يرحم المفكر الكبير وأن يجعل جهاده في استخراج لآلي القرآن والسنة وتبسيطها للناس في موازين حسناته وألا يحرمننا الأجر. وأن ينفع بهذا العمل إنه على كل شيء قدير.

د. إبراهيم محمد إبراهيم حسانين
مدرس التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق - جامعة الأزهر
٠٠٢٠١٠١٤٠٩٥٦٨٥

فهرس البحث

رقم الصفحة	العنوان	م
٢	مقدمة	١
٥	الفصل الأول: العلم والإيمان مقومات نهضة الإنسان	٢
٦	المبحث الأول: العلم ضرورة الإيمان	٣
١٢	المبحث الثاني: دور العلماء في نشر العلم وواجبهم نحوه	٤
١٦	المبحث الثالث: خطورة انحراف أهل الفكر	٥
٢٠	المبحث الرابع: مقومات النهضة الحضارية والروحية	٦
٢٦	الفصل الثاني: صور من الاتجاهات المنحرفة في التفسير	٧
٢٧	المبحث الأول: القرآنيون مغالطات وجهالات	٨
٣٤	المبحث الثاني: البهائيون وتحريفهم في القرآن والتفسير وموقفهم من ختم النبوة	٩
٤٢	الفصل الثالث: قضايا قرآنية مجتمعية	١٠
٤٣	المبحث الأول: من منافع الحج	١١
٥٠	المبحث الثاني: العدل أساس المعاملات الإنسانية في الإسلام	١٢
٥٥	المبحث الثالث: الأنا وقضية الكبر	١٣
٦٢	الفصل الرابع: تصحيح المفاهيم	١٤
٦٣	المبحث الأول: المفهوم الصحيح للجهاد	١٥
٧٤	المبحث الثاني: قضية التكفير	١٦

٧٩	المبحث الثالث: الحرية الدينية والرد على دعوى انتشار الإسلام بالسيف	١٧
٨٧	المبحث الرابع: نظرة الإسلام إلى الحوار مع الآخر واحترامه ومعاملته	١٨
٩٣	المبحث الخامس: الوسطية والتوازن سبيل السعادة	١٩
٩٨	الخاتمة	٢٠
٩٩	الفهرس	٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ